الفصل الثالث
ثورة الأفشين

أولاً ـ التعريف بالأفشين :

هو حيدر بن كاوس من بلاد اشروسنه[١] احدى بلاد ما وراء النهر ، استعمله الخليفة المأمون والياً على برقة[٢] وكان من كبار قواده المقربين ، وكان الخليفة المأمون يرمى به الثورات والفتن التى تنشب فى أرجاء دولته وذلك لشجاعته وشدة بطشه للعدو ، فعندما ثار الأقباط فى مصر عام ٢١٦ هـ أسرع المأمون بإرسال الأفشين إليهم وتمكن الأفشين من القضاء بقسوة ووحشية على انتفاضة القبط وأعاد الأمور إلى طبيعتها من حيث الهدوء والاستقرار[٣] .

فلما تولى المعتصم الخلافة كان الأفشين ساعده الأيمن ومستودع أسراره وقائد جيوشه ورأى فيه المعتصم شدة الأبطال وصلابتهم ، بالإضافة إلى تجاربه وخبراته فى إدارة الحروب والمعارك ، فكان يستعين به فى إخماد الثورات والفتن التى تهب هنا وهناك وفى الإحاطة بالثوار والحركات الهدامة التى تحاول النيل من الدولة الإسلامية .

كان الأفشين هو وأبوه فى خدمة الخليفة المعتصم وقد وثق به ، ولما قامت فتنة بابك الخرمى واستطار شررها واستفحل أمرها حتى أتعب أكثر القواد الذين كان يرسلهم الخليفة لمحاربته تعباً زائداً وأحس الخليفة آنذاك بصعوبة الأمر ، فلم يجد أمامه إلا قائده المغوار الأفشين فعقد له الألوية

---

(١) اشروسنه ـ هى بلدة كبيرة مما وراء النهر من بلاد الهياطلة بين سيحون وسمرقند وأغلبها جبال ، ومن مدنها بنجيكت وساباط وزامين . (ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ١/ ١٩٧) .

(٢) برقة ـ اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وأفريقية ، واسم مدينتها انطابلس ـ وهو اسم يطلق على عدة أماكن في بلاد العرب (ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ١/ ٣٩٠) .

(٣) الطبري ـ تاريخ الرسل ٨/ ٦٢٧ ، وابن الأثير ـ الكامل ٥/ ٤١٠ ، وعبد المنعم ماجد ـ العصر العباسي الأول ١/ ٤١٢ .

على رأس جيوش كثيرة للقضاء على بابك ، وقد استطاع الأفشين أن يحقق النصر على بابك ويقضى على هذه الفتنة التى هددت الخلافة وأهلكت الحرث والنسل وانتهت بأسر بابك وجيء به إلى المعتصم مقيداً بالأغلال ، وكافأ المعتصم قائده بولاية إرمينية وأذربيجان بعد أن ألبسه تاجاً من ذهب(١) .

وقد مدحه الشعراء بمدائح كثيرة وكان أبو تمام من بين من مدحه حيث قال فيه :

لقد لبس الأفشين قسطلة الوغى ... محشا بنصل السيف غير مواكل
وجرد من آرائه حين أضرمت ... به الحرب حداً مثل حد المناصل
وسارت به بين القنابل والقنا ... عزائم كانت كالقنا والقنابل
وقد ظلت عقبان أعلامه ضحى ... بعقبان طير فى الدماء نواهل
تراه فى الهيجاء أول راكب ... وتحت ضبير الموت أول نازل

ثانياً. علاقة الأفشين بأصحاب الحركات الهدامة :

سبق أن ذكرنا علاقة الأفشين بالمازيار حاكم طبرستان وهى علاقة وثيقة ورابطة قوية تربط بين عناصر الحركات الهدامة جميعاً وإن كان طابعها الخفاء ، فهذا لا يمنع من وجودها ، ويبدو أن الأفشين لم يعلن الحرب على الإسلام ولم يظهر التمرد على الخلافة العباسية بسبب ماكان يتمتع به مكانة ونفوذ قوى لدى الخلفاء ، فهذه المكانة جعلته لم يجهر بالعداء كنظرائه من الفرس ، ومما يؤكد هذه الصلة التى كانت تربط بين هذه العناصر جميعاً إتصال المازيار ببابك الخرمى أثناء حربه ضد العباسيين ، وكذلك إتصاله بالأفشين أو اتصال الأخير به سراً وعمل ثلاثتهم على محو الإسلام من بلادهم والتخلص من حكم العرب .

كما جرت من ناحية أخرى مراسلات سرية بين أخى الأفشين وبين فوهيار أخى المازيار ، وتؤكد فيما لا يدع مجالاً للشك على كراهية الفرس للعرب وللإسلام عامة ، وتعمل على هدمه فى خفاء وتستر .

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر ٤/ ٦٢ . (٢) حسن إبراهيم ـ تاريخ الإسلام ٢/ ٩٤ .

فقد كتب أخو المازيار إلى قوهبار يقول له أنه لم يكن ينصر هذا الأبيض غيرى وغيرك .

فأما بابك فإنه لحمقه قتل نفسه ولقد جهدت أن أصرف عنه الموت فأبى لحمقه إلا أن أوقعه فإن خالفت لم يكن للقوم من يرمونك به غيرى ومعى الفرسان وأهل النجدة فإن وجهت إليك لم يبق أحد يحاربنا إلا ثلاثة .. العرب ، والمغاربة ، والأتراك .

أما العربى فهو بمنزلة الكلب أطرح له كسرة وأضرب رأسه بالدبوس ، والمغاربة أكلة الرأس ، والأتراك إنما هى ساعة حتى تنفذ سهامهم ثم تجول الخيل عليهم جولة فتأتى على آخرهم ويعود الدين إلى ما لم يزل عليه أيام العجم[١] .

ونلاحظ على هذه الرسالة عدة أمور نراها جديرة بالاهتمام لصلتها بالمؤامرة التى نسج خيوطها الأفشين ، ومن أهم هذه الأمور :

١ ـ أنها تؤكد على الصلة الوثيقة والعلاقة الحميمة التى كانت تربط بين زعماء الحركات الهدامة .

٢ ـ أنها تظهر النوايا السيئة التى انطوت عليها نفوس الفرس تجاه العرب والمغاربة والأتراك .

ثالثاً ـ غضب المعتصم من الأفشين :

احتل حيدر بن كاوس الملقب بالأفشين مكانة سامية ومنزلة عالية لدى الخلفاء العباسيين وارتفع شأنه وسطع نجمه فى خلافة المعتصم كما ذكرنا آنفاً بسبب قضائه على ثورة بابك والإمساك به .

لم يكن الأفشين بالقائد المخلص فى عمله ومهامه التى أنيطت به من قبل الخليفة ، كما أنه لم يكن بالصادق فى إسلامه وإيمانه وإنما عرف بتعصبه لبلاده وربما لدينه القديم ونشأته الفارسية التى عاش أكثر عمره فيها ، ومع هذا فهو القائد المحنك الذى أكسبته صعوبات الحياة وخوض المعارك والحروب الخبرات والتجارب المتعددة .

---

(١) الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ٨/ ٦٣٠ .

وفى عام خمس وعشرين ومائتين بدأت علاقة الأفشين بالخليفة تأخذ طريقها إلى التوتر والضعف بعد إرتكابه لعدد من الجرائم والمخالفات التى أغضبت الخليفة وجعلته يسخط عليه ، ومن هذه الأمور ما ذكره المؤرخون من أن الأفشين أيام محاربته لبابك كانت لا تأتيه هدية من أهالى إرمينية أو أذربيجان إلا وجه بها إلى أشروسنة بدلاً من توجيهها إلى الخليفة ، وكانت تمر بعبد الله بن طاهر والى خراسان من قبل المعتصم وكانت هناك ثمة كراهية وحقد بين كل من الأفشين وابن طاهر بسبب احتدام الصراع بين الطرفين ، فالأفشين كان يطمع فى ولاية خراسان واستبعد ابن طاهر عنها وقد سعى إلى ذلك سعياً خفياً ولكنه لم يوفق فيه ، ومن هنا كان كلا الرجلين يعامل صاحبه بحذر وهما يضمران البغض والشنأن .

فما أن شعر ابن طاهر بأن الأفشين يهرّب المال والهدايا من بلاده إلى أشروسنة حتى سارع بإخبار الخليفة فكتب إليه المعتصم يأمره أن يطلعه على جميع ما يفعله الأفشين ففعل ذلك .

وذات مرة بعث الأفشين بعض رجاله بمال كثير إلى أشروسنة لإيداعه هناك فبلغ أصحابه نيسابور فوجه ابن طاهر إليهم من يفتشهم فوجد المال فى أوساطهم فقال من أين لكم هذا المال؟ فقالوا للأفشين فقال كذبتم لو أراد أخى الأفشين أن يرسل مثل هذه الهدايا والأموال لكتب إلىّ يعلمنى وإنما أنتم لصوص وأخذ منهم المال(١) .

وسارع ابن طاهر بالكتابة إلى الأفشين يذكر له ماقال القوم عنه وقال أنا أنكر أن تكون وجهت بمثل هذا المال ولم تعلمنى(٢) ، وقد أعطيته للجند عوضاً عن المال الذى يوجه أمير المؤمنين ، فإن كان المال لم كما زعموا رددته عليك إذا جاء مال من عند الخليفة ، وإن يكن غير هذا فأمير المؤمنين أحق بهذا المال وإنما دفعته إلى الجند لأنى أريد أوجههم إلى بلاد الترك .

---

(١) الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ٩/ ١٠٤ ، وابن الأثير ـ الكامل ٥/ ٤٨٠ .

(٢) كان ابن طاهر على علم وبينة بكل تحركاته وأفعاله بل كان يطلع الخليفة عليها أولاً بأول وإنما أظهر للأفشين التجاهل وعدم العلم بحقيقة هذه الهدايا والمال ليخدعه وهى حيلة ومكر من عبد الله بن طاهر ليأمن جانب الأفشين .

وسرعان ما كتب إليه الأفشين بقوله إن مالى ومال أمير المؤمنين واحد وطلب منه أن يُطلق سراح القوم فأطلقهم فكان ذلك سبب الوحشة بينهما(١) .

بدأ الأفشين يحس بالوحشة من الخليفة وبسوء الأخطار المحدقة به ولاحت له فى الأفق بواكير النكسة بعد أن انكشف أمره وظهر ستره فى مؤامرته تلك التى يحاول بها التخلص من الإسلام ومن الدولة العباسية معاً والاستقلال ببلاده والعودة إلى المجوسية دينه القديم .

حيث ارتكب الأفشين بعض المخالفات التى جعلت الخليفة يغضب منه وينزله إلى قعر هاوية ، ونستطيع أن نلخص هذه المخالفات فيما يلى :

١ ـ استيلائه على الهدايا والأموال التى كانت تأتيه من أهل إرمينية وأذربيجان وضمها إلى ممتلكاته وإرسالها إلى موطنه أشروسنة بدلاً من أن يبعث بها إلى الخليفة ، وقد فعل هذا الأمر فى خفاء وغموض ولكن كُشف ستره عن طريق والى خراسان وأطلع الخليفة عليه .

٢ ـ ثبوت علاقة الأفشين بمازيار الذى أعلن العصيان والتمرد على طاعة الخليفة المعتصم وقتل أعداداً غفيرة من المسلمين وبخاصة من أهل آمل وأهل سارية ، وقد أقر مازيار بعد أن أصبح أسيراً بهذه العلاقة وصرح بأن الأفشين كان يكاتبه ويحسن له الخلاف والمعصية مما كان سبباً فى عصيانه ، ومن شجع على العصيان كان كمن عصى .

٣ ـ اتهام الأفشين بالتستر على واليه منكجور وهو من أقاربه وكان منكجور هذا قد استعمله الأفشين والياً من قبله على أذربيجان ، فلما تولى وجد فى بعض قرى بابك مالاً عظيماً فأخفى منكجور هذا المال من المعتصم والأفشين ولكن صاحب البريد قد علم بالأمر فكتب إلى المعتصم وكتب منكجور يكذبه فتناظرا فهمّ منكجور ليقتله فمنعه أهل أردبيل فقاتلهم منكجور وبلغ الخبر إلى المعتصم فأمر على الفور الأفشين بعزل منكجور فوجه قائداً فى عدد من القوات لمحاربة منكجور ، ويبدو أنه تهاون فى ذلك فتحصن منكجور ببعض الحصون هو ومن معه من الصعاليك إلى أن أسر وقدم به إلى سامراء فحبسه المعتصم واتهم الأفشين فى أمره ، وقيل أن سبب اتهام

---

(١) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ٥/ ٤٧٩ .

الأفشين فيه أنه منح منكجور أماناً منه حتى لا يتعرض له أحد بسوء[١] مما أثار غضب المعتصم على الأفشين .

وعلى كل حال فإن الأفشين أحس بكل هذا فحاول الهرب عن طريق الموصل حيث يعبر نهر الزاب ثم يصير إلى إرمينية ويرجع إلى بلده أشروسنة وفكر فى ذلك جيداً ، ولعل من أسباب تفكير الأفشين فى الهروب خوفه من دس عبد الله بن طاهر ضده عند المعتصم ، فلا شك أنه كان هناك عداء خفى بين الرجلين وذلك بعد نجاح الأفشين ضد بابك حيث كان الأفشين يطمع فى أن يحل محله فى ولاية خراسان .

ويظهر أن الأفشين سعى بالفعل للتخلص من ابن طاهر فأراد أن يدس له السم عن طريق جارية كانت تحمل له هدايا منها ملابس مسمومة إلا أن الجارية أخذت بشخص ابن طاهر فلم تفعل شيئاً فلعل افتضاح هذه المؤامرة جعلته يهرب خوفاً من المعتصم وابن طاهر[٢] .

أو قد يكون هروبه بسبب ما أثير حوله من مسائل مالية تتعلق بالهدايا والأموال التى كان يرسلها إلى بلاده أيام حربه مع بابك أو تتعلق بفعل منكجور كما سبق أن ذكرنا[٣] .

وقيل أن السبب الرئيسى فى محاولة الأفشين الهروب إلى بلاده هو سعيه الخفى إلى إقامة حركة قومية تعيد مجد الفرس ، كما كان أول مرة ، ومما يؤكد ذلك تحالفه مع الثائرين ضد الدولة من وراء ستار ، وقد تبين أنه كان يراسل المازيار (الاصبهذ) الذى كان يسعى هو الآخر إلى هذا الهدف فى طبرستان ، وقد أقر المازيار بهذه العلاقة ، كما أن الأفشين فى حربه مع بابك كان يبطىء فيها ، وقد لاحظ المطوعة من البصرة ولعلهم من العرب كانوا يذكرون مماطلته ، فلعله أيد اشتعال الفتن فى هذه النواحى بقصد السعى الخفى لحركته ، أضف إلى هذا أنه كان عدواً للقومية العربية ، ففى مصر قضى على فتن العرب فيها بقوة وشدة وكان يصف العربى بمنزلة الكلب

---

(١) الطبري ـ الرسل والملوك ٩/ ١٠٥ ، وابن الأثير ـ الكامل ٥/ ٤٠٩ .

(٢) عبد المنعم ماجد ـ العصر العباسي الأول ١/ ٤١٤ .

(٣) المرجع السابق ١/ ٤١٤ .

أطرح له كسرة ثم أضرب رأسه بالدبوس[١] .

وأياما كان الأمر فإن يقظة المعتصم لما يدور حوله من أمور ولكل ما دق وجل حالت بين هروب الأفشين وأسرع بالقبض عليه وأمر بسجنه فى الجوسق[٢] ، كما أراد المعتصم قطع دابر قائده الخائن والتخلص منه ومن أبنائه فكتب إلى عبد الله بن طاهر فى الاحتيال على الحسين بن الأفشين للإمساك به ، فى هذا الوقت ذاته كان الحسين بن الأفشين يشكو من جور بعض القواد على ضياعه وناحيته فاغتنم ابن طاهر هذه الفرصة وشرع فى حيلة تمكن بها من القبض على ابن الأفشين وأرسل به إلى المعتصم[٣] .

وبالرغم من أن كل أصابع الاتهام كانت تشير إلى الأفشين بالتورط والإدانة فى هذه الأعمال المنافية لشرعية الدولة الإسلامية وتثبت فيما لا يدع مجالاً للشك خيانته للخليفة بالرغم من ذلك فإن المعتصم أراد أن يحاكم الأفشين محاكمة نظامية بحيث تقرر وتؤكد خيانة هذا القائد لأمير المؤمنين وبعدها يقرر العقوبة التى تتلاءم مع جريمته النكراء ، فعهد إلى وزيره محمد ابن عبد الله الزيات وأحمد بن أبى دؤاد وبعض الأعيان بمحاكمة الأفشين[٤] .

شكلت لجنة المحاكمة حسبما أراد الخليفة وأحضر كل من المازيار والموبذ والمرزبان بن بركش (أحد ملوك السُغد) ورجلين من أهل السغد .

رابعاً ـ محاكمة الأفشين :

مثل الأفشين أمام لجنة المحاكمة مقيداً بالأغلال ، ووجهت إليه عدة تهم هى ما يلى :

الأولى : اتهم بأنه عمد إلى رجلين مسلمين كانا قد وثبا على بيت به

---

(١) الطبري ـ تاريخ الرسل ٩/ ١٠٧ .

(٢) الجوسق ـ وهو القصر الصغير أو الحصن ، والجمع جواسق (المعجم الوجيز ص١٢٧) .

(٣) يذكر المؤرخون أن المعتصم لما ألقى القبض على الأفشين كتب إلى عبد الله بن طاهر في الاحتيال للحسن بن الأفشين للإمساك به فسارع ابن طاهر بالكتابة إلى نوح بن أسد أحد ولاته على بعض الضياع وأمره أن يمسك بلم الأفشين ويبعث به إليه ففعل فأرسل به ابن طاهر إلى الخليفة ليرى فيه رأيه .

(٤) الطبري ـ تاريخ الرسل ٩/ ١٠٧ .

أصنام وأوثان من البيوت المهجورة بأشروسنة فحولاه إلى مسجد للعبادة فصار أحدهما إماماً للمسجد والآخر مؤذناً فأمر الأفشين بضرب كل منهما ألف سوط حتى تساقط اللحم من ظهورهما(١) .

وقد ردَّ الأفشين على هذا الاتهام بقوله بأنه كان بينه وبين ملوك السغد عهد وميثاق ينص على أن أترك كل قوم على دينهم واعتبرت عمل هذين الرجلين تعدياً صريحاً على ما التزمت به من حرية الأديان .

الثانية : كما اتهم الأفشين بأنه عثر فى بيته على كتاب قد زينه بالذهب والجوهر والديباج مع أنه فيه كفر بالله ..

وقد دافع عن نفسه بأن هذا الكتاب ورثه عن آبائه نظراً لما فيه من آداب العجم وفيه كفر كذلك فانتفع بما فيه من أدب وترك ما فيه من كفر وشرك ، أما حلية الكتاب فقد ورثته هكذا ولم أكن بحاجة إلى مال حتى أجرد الكتاب من حليته ، وليس شأن الكتاب بعد ذلك إلا شأن كتاب كليلة ودمنة وكتاب مزدك وهما بمنازل القضاة والولاة ولم يعترض عليهم معترض ، ومع هذا ما ظننت أن هذا يخرج من الإسلام(٢) .

الثالثة : كما شهد عليه بعض الموابذة بأنه كان يأكل لحم المخنوقة وأنه حمله وأجبره على أكلها وزعم أنها أرطب من المذبوحة ، ولقد قال لى يوماً : قد دخلت لهؤلاء القوم فى كل شىء أكرهه حتى أكلت الزيت وركبت الجمل والبغل غير أنى إلى هذه الغاية لم تسقط عنى شعرة (يعنى لم آخذ شعر العانة) ولم أختتن(٣) ، كما كان الأفشين يقتل شاة سوداء كل يوم أربعاء يضرب وسطها بالسيف ثم يمشى بين نصفيها ويأكل لحمها(٤) .

وقد ردَّ الأفشين هذا الاتهام عن نفسه بقوله بأن الشاهد الذى شهد عليه ليس بالثقة فى دينه ولا يصلح للشهادة وليس بين منزل الشاهد ومنزل الأفشين

---

(١) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ٥/ ٤١٠ ، وضحى الإسلام ١/ ١٤٩ .

(٢) الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ٨/ ١٠٧ ، وابن خلدون ـ العبر ٣/ ٢٦٨ .

(٣) ضحى الإسلام ١/ ١٥٠ .

(٤) كان الموبذ الذي شهد على الأفشين بذلك يدين بالمجوسية ولكنه عاد فأسلم في عهد الخليفة المتوكل وحسن إسلامه .

باب أو كوة يطلع عليه منها ويتعرف أخباره[١] .

وقد صرحت المصادر بأن الأفشين كان يجالس هذا الرجل ويطلعه على أسراره ، بل كان يفصح له عن مكنون نفسه فلما قبض على الأفشين وحبس أفشى هذا الموبذ كل أسراره وخانه .

الرابعة : كما أتهم بأن أهل مملكته كانوا يكتبون إليه رسائل باللغة الأشروسنية فكانوا يتصدرون الرسائل بمقدمة تفسيرها بالعربية إلى إله الآلهة من عبده فلان بن فلان ، فماذا أبقيت لفرعون الذى قال (أنا ربكم الأعلى) .

وقد دافع عن نفسه بقوله أن هؤلاء القوم كانوا يكتبون لأبى وجدى منذ قديم ثم كتبوا لى قبل أن أدخل الإسلام ، فلما أسلمت كرهت أن أضع نفسى دونهم فتفسد على طاعتهم وتنقطع بى صلتهم فأبقيت الوضع كما هو عليه .

الخامسة : كما اتهم كذلك بأنه يخطط فى خفاء للقضاء على الإسلام ودولته والجد فى إقامة ونصرة المجوسية كما كانت أول مرة ، وذلك من خلال كتاباته ومراسلاته لأنصاره وأعوانه ، حيث كتب أخوه إلى قوهيار أخو المازيار حاكم طبرستان رسالة مضمونها أنه لم يكن ينصر هذا الدين الأبيض (يريد المجوسية) غيرى وغيرك .

فأما بابك فإنه لحمقه قتل نفسه ولقد جاهدت أن أصرف عنه الموت فأبى لحمقه إلا أن أوقعه فإن خالفت لم يكن القوم من يرمونك به غيرى ومعى الفرسان وأهل النجدة فإن وجهت إليك لم يبق أحد يحاربنا إلا ثلاثة .. العرب والمغاربة والأتراك ..

أما العربى فهو بمنزلة الكلب أطرح له كسرة وأضرب رأسه بالدبوس ، والمغاربة أكلة الرأس وأولاد الشياطين ، أما الأتراك فإنما هى ساعة حتى تنفذ سهامهم ثم تجول الخيل عليهم جولة فتأتى على آخرهم ويعود الدين (يقصد المجوسية بكل صورها) إلى مالم يزل عليه أيام العجم[٢] .

وخلاصة هذه التهمة العظمى محاولته قلب المملكة الإسلامية ومحو

---

(١) أحمد أمين ـ ضحى الإسلام ١/ ١٥١ .

(٢) الطبري ـ تاريخ الرسل ٩/ ١١٠ ، وابن الأثير ـ الكامل ٥/ ٤١١ ، وابن خلدون ـ العبر ٣/ ٢٦٨ وابن كثير ـ البداية والنهاية ١٠/ ٣٠١ .

الخلافة بل ومحو الدين الإسلامى كله وإعادة المملكة العجمية كما كانت بلغتها ودينها وسلطانها(١) .

وقد أنكر الأفشين هذا الكتاب وقال أن عمل أخيه لا يلزمه ولو كتبت هذا الكتاب إليه لأستميله ويثق بى فستكون حيلة لأمسك به وأحظى به عند الخليفة .

السادسة : كما اتهم بعدم الاختتان ، فقد سأل أمطهر أنت ؟ قال لا ، قال ما منعك من ذلك وبه تمام الإسلام .

ودافع عن نفسه بأنه لم يفعل ذلك خشية الموت والهلاك والتقية جائزة فى الإسلام فخفت أن أقطع ذلك العضو من جسدى فأموت ، فقيل له أنت تطعن بالرمح وتضرب بالسيف فلا يمنعك ذلك أن يكون ذلك فى الحرب وتجزع من قطع قلفه ببدنك .

فرد عليهم بأن الطعن فى الحرب ضرورة تصيبنى فأصبر عليها أما هذا الأمر فشىء أستجلبه لنفسى وما كنت أعلم أن فى ترك الاختتان خروج من الإسلام(٢) .

وقد ردَّ الأفشين بعد هذه إلى حبسه ومنع عنه الطعام والشراب حتى مات فأخرج ميتاً وصلب بباب العامة وأحضروا أصناماً زعموا أنها كانت حملت إليه فألقيت عليه وأضرمت فيه النار(٣) .

وسرعان ما انقلب مدح الشعراء له وحفاوتهم به إلى ذم وهجاء بعد أن انكشف أمره وهتك ستره وكشف عن كفره ، ومن الشعراء الذين ذموا الأفشين بعد صلبه وحرقه أبو تمام فى قصيدة طويلة نذكر منها(٤) :

قد كان بوأه الخليفة جانباً ... من قلبه حرماً على الأقدار
فإذا ابن كافرة يسر بكفره ... وجداً كوجد فرزدق بنوار
مازال سر الكفر بين ضلوعه ... حتى اصطلى سر الزناد الواري

---

(١) أحمد أمين ـ ضحى الإسلام ١/ ١٥٠ .

(٢) انظر محاكمة الأفشين كاملة في الملحق رقم ٢ .

(٣) المسعودي ـ مروج الذهب ٤/ ٦٢ .

(٤) الأصفهانى ـ الأغانى ١٥/ ١٠٥ .

ناراً يساور جسمه من حرها ... لهب كما عصفرت شق إزار
طارت لها شعل يهدم لفحها ... أركانه هدما بغير غبار
مشبوبة رفعت لأعظم مشرك ... ماكان يرفع ضوؤها للساري
صلى لها حياً وكان وقودها ... ميتاً ويدخلها مع الفجار
يامشهداً صدرت بفرحته إلى ... أمصارها القصوى بنو الأمصار
رمقوا أعالي جذعة فكأنما ... وجدوا الهلال عشية الإفطار

وبهذا طويت صفحة من صفحات المتمردين الفرس الذين حاولوا زعزعة الحكم الإسلامى ، فضلاً عن قلبه وتغييره ، ولقد كانت قوة المسلمين تقف لهم بالمرصاد ، فما من ثورة تندلع أو فتنة تقوم بسببها إلا أخمدها الخليفة وقضى عليها .

خامساً. محاكمة الأفشين فى الميزان :

ولقد استرعت محاكمة الأفشين اهتمام الباحثين والمستشرقين لما فيها من غموض وكتمان من ناحية ولاحتوائها على عنصر المفاجأة من ناحية أخرى .

فيقول التبريزى معلقاً على هذه المحاكمة : « لم يكن الأفشين كافراً ولامنافقاً وإنما كان رجلاً من الفرس اصطفاه المعتصم لحُسن طاعته وخدمته واعتمد عليه فى مهام أموره حتى وكّل إليه مقاتلة بابك الخرمى فمضى إليه فى ألوف وأسره غير أن الحساد أفسدوا ما بينهما فذكروا المعتصم أنه منطو على خلافك ، وقالوا للأفشين : إن المعتصم قد عزم على القبض عليك فانقبض عنه حذراً من القبض عليه فتحقق المعتصم بانقباضه ماكان أخبر به عنه فأخذه وأحرقه وصلبه وقيل إن السبب فى ذلك هو ابن أبى دؤاد لأمر جرى بينهما »(١) .

ونلاحظ من حديث التبريزى تبرئة الأفشين من تهمة الكفر والنفاق والعودة إلى المجوسية ومن ثم فهو فى نظره مسلم لم يخرج من إسلامه أو يرتد عنه وأن ما حدث له من غضب الخليفة عليه حتى أمر بمحاكمته وسجنه أنما وقع نتيجة الوشايات التى كانت تصل إلى الخليفة عن طريق الحساد والحاقدين

---

(١) نقلاً عن ضحى الإسلام ـ أحمد أمين ١/ ١٥١ .

عليه وبخاصة بعد أن تمكن هذا القائد الشجاع من إخماد فتنة فارسية كادت أن تهلك الحرث والنسل وتهدد أمن الدولة الإسلامية وسلامتها ، فلما إنتهت فتنة بابك على يديه حسده الحاقدون فسعوا به عند الخليفة .

ويعلق المستشرق ميور[١] على محاكمة الأفشين بقوله (أنها تبين بجلاء كيف كان تمسك أهالى ولايات الدولة العباسية الشرقية بدينهم الوثنى وذلك لبعدهم عن مركز هذه الدولة ولإن الإسلام لم يكن قد وصل إلى قلوبهم ، ثم لتحصنهم فى بلادهم المنيعة وقربهم من الأتراك الوثنيين ، وقد خلص ميور من ذلك بهذا الرأى وهو أن إسلام بعض أهالى فارس إنما كان إسلاماً ظاهرياً وأنهم كانوا لا يزالون متمسكين بعقائدهم المجوسية القديمة وأنهم كانوا ينتهزون الفرصة المواتية ليرتدوا عن الإسلام ويعودوا إلى دينهم القديم ومصداق ذلك ما رأيناه من ظهور هذه الحركات التى أشعل نيرانها سنباذ المجوسى وأنصار أبى مسلم الخراسانى وبابك الخرمى .

ويؤكد المستشرق بروان على إدانة الأفشين وعدم إسلامه بقوله : إن الأفشين لم يكن فى ميوله ونشأته الفارسية أقل وطنية وعطفاً على الفرس من هذين الرجلين اللذين صاحباه فى نهايته المحزنة[٢] .

ويرى بعض الباحثين أن الأفشين كان مسلماً وإن كان على ما يبدو ليس على علم بكل ما يحيط بالإسلام وأنه كان مطلعاً على دين العجم السابق .

وأن ظهور هذه الفرق الفارسية فى الإسلام لا يقلل من قيمة أبى مسلم الذى كان مسلماً حقاً ولا نعتقد أنه مرق عن الدين[٣] .

والرأى عندى أن الأفشين كان شديد الإنتماء لأصله ونشأته الفارسية وأن مكانته التى بلغها وطول مقامه بين المسلمين لم يقلل من إنتمائه للفرس وإنما ظل على وفائه لهم في السر والعلانية حتى نهايته الأخيرة ، ولهذا كان لايتورع عن ارتكاب بعض الجرائم التى تخالف الإسلام من أجل خدمتهم .

---

(١) نقلا عن تاريخ الاسلام ٢/٩

(٢) حسن إبراهيم حسن ـ تاريخ الإسلام ٢/ ٩٤ .

(٣) عبد المنعم ماجد ـ العصر العباسي الأول ١/ ٤١٧ .